مصرع الأخلاق والأعراض

على شاطئ البحر

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

هذا هو الصيف أقبل ، وبدأ الناس يفرون من الهجير القاسى إلى النسيم الرقيق على شواطئ البحار .

وفى ماء البحر وهوائه وسمائه ما شاء الله من متاع يستهوى الأفئدة ، وجمال يأخذ بالأبصار ، فالناس على هذا المتاع أفواج متزاحمون ، وفى طاب هذا الجمال وفود متسابقون.

وأولئك الواردون على البحر من أقرب الجهات وأبعدها ، انتجاعا للعافية أو طلبا للاستجمام والاستحمام ، هم صفوة الشعب القادرة على مطالب المصيف وتكاليفه ، بخلهم من ملاك الضياع وأصحاب التجارات وذوى المناصب ، ليس بينهم من الفقراء إلا الترر القليل الذى يرهق موارده ليقحم نفسه فى صفوف الأغنياء والمترفين .

هذه الصفوة الممتازة ، المستغنية عن الكد فى سبيل الرزق خلال فترة الاصطياف ، هى بلا شك على جانب من التعليم والتهذيب ، فرجالها دخلوا معاهد العلم ، ونساؤها نبعن من أسر وتربين فى بيوت ، وأطفالها ناشئون على ما يرون بأعينهم من سيرة الآباء والأمهات . فأولئك جديرون أن يدركوا أن الاستمتاع بزينة الدنيا مع الإبقاء على كرامة النفس أمر ميسور ، وأن التبذل والخروج على المألوف ، ليسا هما الشرط الوحيد للتمتع ، ولا المظهر الفريد للحضارة .

فهل الذى نراه على شاطئ البحر فى صيف كل عام ، يجرى مع هذه القاعدة الصالحة ويسير على هذا النهج القويم ؟

لا والله بل انا لنرى على الشواطئ إهدارا للعفاف ، وإغراء بالفساد ، وارخاصا للجمال ، وموتا للغيرة فى نفوس الرجال : فهذه أسراب من النساء والفتيات ، قد خلعن العذار ، وتجردن من كل إزار ، وعرضن على الأعين ما أمر الله ان يصان عرضا رخيصا مبتذلا لا أدب فيه ولا كرامة ولا حياء . والنساء على شاطئ البحر عاريات إلا من لباس البحر الذى جعلنه لا ليستر ،

بل ليبدى ما يتحدين به الحياء البشرى وماتواضع الناس على أنه سر وعورة ، إذ هو لباس شفاف تمام مثير لأسفل المطامع وأحط الشهوات ،

وفى حمام البحر يختلط النساء بالرجال ، وتنهب الأعين الأجسام ، وتنطلق الغرائز من عقالها ، وتضيع تعاليم الدين والخلق القويم ، وينتهك الشرف ويمتهن العفاف ، وتلقى الفضيلة مصرعها على مذبح التبذل ، وأولئك الجاميات مع الأسف زوجات لرجال ، أو أمهات أو أخوات أو قريبات لرجال !

واذا قلنا إن كثيرا منهن يرتدن الشاطئ للاستحمام بماء البحر ، فماذا نقول فى أولئك العاريات اللاتى لا ينزلن الى البحر ولا يبللن أجسامهن بقطرة من مائه ، بل يخطرن بين صفوف النظارة أو يذرعن الشاطئ جيئة وذهابا فى مشية متكسرة ملتوية تجذب العيون وتلهب الشهوات ؟ أولئك ليس مرادهن الاستحمام ، وانما يبدو مرادهن جليا فيما يرسلن من ضحكات وما يأتين من حركات : فالواحدة منهن تستلقى على الرمل ، وتظل تتمرغ فوقه فى أوضاع تعف عنها الراقصات فوق المسارح وتحرص على إبراز كل اسرار جسمها حاسبة انها بذلك تظفر بالخاطب المنشود ، أو تتصيد المعجب المفتون ، وهى فى ذلك حمقاء خاطئة ، لأن هذا المنظر اذا شاع وألفت العيون انتهاك أسرار الأجسام ، صار الجمال مبتذلا رخيصا لاتهوى اليه الأفئدة ولا تتطلع اليه الأبصار .

و بعد ، فماذنب الرجل اذا خانه حياؤه وهو يرى هؤلاء المتبخترات المتبرجات قد تجردن مما يستر البدن وتحللن مما يكبح النزوات ، حتى كأنما رجعنا الى فطرة الإنسان الأول حين كان يسكن الغابات بل إلى بهيمية الحيوان الطليق فى الفلوات ؟

أليس هذا تحريضا ملحا على الفجور أفعل وأنكى مما تفعله البغايا اللاتى يعاقبهن القانون اذا دعون الرجال الى أنفسهن بقول أو إشارة أو ايماء مع أن هؤلاء البائسات محترفات يرتزقن من جمالهن وأولئك "الشريفات" آنسات مصونات أو زوجات محصنات ، ومع أن البغايا يظهرن فى ثياب ساترة سابغة وفى حيز محدود هو البيوت وأفاريزها فلا يراهن الا القاصد أو عابر الطريق ، وأولئك الشريفات يتبدين عاريات فى فضاء ذلك المعرض الواسع الذى يسمينه حمام البحر ، حيث يعلمن أن سيكن محط أنظار العدد العظيم من الناس ؟ !

أولئك الأخيرات أجدر بعقاب القانون ، ولولا خشية الفوضى وشيوع الفضيحة لقلت إنهن لسن جديرات بحماية القانون مادمن يستهدفن بمحض ارادتهن لفورات الأعصاب ، ويستفززن بتهتكهن بهيمية الرجال .

لقد والله اختلط الأمر على الشاطئ ، فلم نعد قادرين على التفرقة بين سيدات البيوت وبين عاملات الازياء والبائعات فى المتاجر من الأجنبيات المتمصرات، ولم يبق فرق فى المظهر ولا فى الأثر بين ربيبات الأسر وبين الراقصات والممثلات ، فقد تشبهت الشرقية المحافظة بالدخيلة المتبذلة وصار اللائى نشأن فى البيوت كاللائى نشأن فى السوق لا يتحرجن من إتيان ما يغضب الله ويسخط كل مبادئ الشرف والحياء .

ولقد وصلت بنا هذه الحالة السيئة ، وهذه الجرأة من بناتنا ، إلى زهد كثير من الشبان فى الزواج بعد أن رأوا الخلاعة شائعة فى أكثر الفتيات ، فأصبحوا فى غير أمان على أعراضهم إذا تزوجوا من أولئك الخليعات .

وإنى لأعذر الشبان فى هذا الزهد ، فقد رأينا أكثر عقود الزواج التى تمت بعد تعارف العروسين على الشاطئ ، لم يطل عمرها أكثر من أسابيع أو أشهر ، وانتهت كلها بالطلاق لأن الأساس فاسد ، ولأن الزواج لم يصدر عن مودة وتعقل وتدبر ، بل عن ثورة فى الأعصاب ، وجموح فى النزعات ، فهو زواج أجسام لا زواج قلوب . أو هو زواج نزوة طارئة تعصف به نزوة أخرى طارئة .

لقد ذكرت القانون مؤدبا وزاجرا ، وقد أذكر الدين واعظا وهاديا ، ولكنى أخشى ألا يجد القانون والدين معا طريقا إلى هذه النفوس الفاجرة ، فلم يبق الا أن نناجى ضمائر الأزواج والآباء والإخوة ، وإلا أن نوقظ الغيرة على العرض والشرف فى نفوسهم .

لست أدعو إلى الغيرة القاسية ولا إلى العنف الطائش ولا إلى تجاوز الاتزان وتخطى الحدود بدعوى المحافظة على الشرف ولكنى أذكر ما كنا نراه حتى عهد قريب ومازلنا نرى بعضه حتى اليوم من مظاهر الحفاظ والشمم والإباء ، وأقارن بينه وبين ماتشاهده الآن من فتور النخوة وضعف المروءة وسكوت الزوج أو الأب أو الأخ على تبذل زوجته أو ابنته أو أخته ، تبذلا يصل بها إلى عرض جسمها على الناس فى غير توقر ولا خوف ولا استحياء .

لقد أسأنا استخدام الحرية فسمحنا لنسائنا بتجاوز الحدود وتخطى الأصول، حتى وصلنا الى الاستباحة والاباحة والتحرر من كل قيود الأخلاق والتقاليد والأديان .

وإذا كان الوزر الأكبر يقع على عاتق الرجال فان جانبا كبيرا منه يقع على عاتق بعض المجلات التى انتهكت حرمات البيوت وجعلت تهتك أسرارها وتبرز من عيوبها ما تسميه مدنية حديثة وما هو إلا زيف وتقليد لمظاهر سافلة ومناظر مستقبحة من مدنية الغربيين ، وانك لتقرأ فى بعض المجلات أوصافا لأعراس وحفلات يقال فيها : كانت الآنسة فلانة بنت

فلان تراقص الشاب فلانا ، ثم تريك صورا جريئة لبعض السيدات والآنسات فترى شرقية مسلمة تقدّم الخمر الى المدعوين والمدعوات أو تصنع بيدها مزيج " الكوكتيل " من مختلف زجاجات الخمر وغير ذلك من المناظر التى لم تألفها أعيننا من قبل ولم تكن فى عاداتنا وتقاليدنا حتى عهد قريب .

و إن على أولئك الكاتبين والمصورين لإثما كبيرا وما أظنهم يفهمون الشرف كما نفهم ، وما أظنهم يعنون بما نعنى به من عفاف ودين ، فحق علينا نحن القراء والقارئات ، أن نصون أعيننا وأعين بناتنا وأخواتنا وعقائلنا عن قراءة هذا الفحش ، وجدير بالحكومة أن تبذل جهدا فى سبيل مكافحة هذا الضلال .

على جمال الدين

من حكم الإمام على

— عجبت للبخيل يستعجل الفقر بحبس المال عن نفسه وعن الناس فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء . وعجبت للمتكبر الذى كان بالأمس نطفة وسيكون غدا جيفة ، وعجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن ينسى الموت وهو يرى الموتى ، وعجبت لمن ينكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء .

— اتق الله بعض التقى و إن قلّ ، واجعل بينك و بين الله سترا و إن رق .

— إذا ازدحم الجواب خفى الصواب .

— إن لله فى كل نعمة حقا ، فمن أدّاه زاده منها ، ومن قصّر عنه خاطر بزوال نعمته .

— إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة .

— أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه .

— مرارة الدنيا حلاوة الآخرة .